



نار يا حبيبي نار...!

ونحن نعيش أيام الصيف الحارة، ونمر بأصعب أيام فصل الصيف الملتهبة، ونسائر مشاكلنا الكثيرة التي تزيد في حرارة صيفنا.. استدركتني الخاطرة بأن الحر الذي نواجهه اليوم له عدة أوجه وأطوار، بل إنها على عدة أشكال وأنواع، فحر الصيف المعتاد عليه تخالطه مشاكل التيار الكهربائي، وانقطاع الخدمات الكهربائية، والتفاوت في حصص المناطق من حيث تزويدها بالتيار، فنار حرقتنا تزداد سوءاً، وقلوبنا تقذف شهياً من النار عندما نشاهد مناطق وبيوت وقصور المسؤولين والتجار وأغنياء البلد تشع بالنور وقلوبهم مطمئنة، وعندما يخرجون من منازلهم يجدون سياراتهم الفارغة (عالتريد آخر موديل) تنتظرهم دون أن يحسوا بالآلام الشعب الفقير الذي لا يجد بعضه أحياناً (المبردة) القديمة ليروح عن عياله حر الصيف، وآخرون لجأوا للمسابح والشواطئ والأنهار والجداول ليلطفوا نار أجسادهم في فصل لا يرحمهم ولا يلقي عليهم ذرة من الرحمة.. وأمرهم لله..

ومع نار الصيف ولهيبه، ومشكلة الكهرباء ومحطاته، تشتعل قلوبنا غيضاً لبرود الحكومة إزاء شعبها في حل المشاكل وإيجاد الخدمات التي تضمن للشعب أدنى حقوقه كمواطن يعيش في هذا البلد، وله الحق في مطالبة حاكميه بكل حقوقه.. فالحكومة باردة كالتلج تجاه صرف زيادة الرواتب للموظفين (رغم حرارة الجو وقسوته)، ولكنها حارة وجادة في قطع حق الاستقطاع التقاعدي الذي رفعت نسبته إلى ٧٪ اليوم لتنفذ قرارها في الغد، وهي باردة في إيجاد البديل لشحة الوقود - مثلاً - ولكنها حارة حرارة الجمر في رفع أسعار المحروقات والوقود لأنها المستفيد الوحيد من احتكارها في مخازنها الخاصة، ومن ثم صرفها في الأسواق بأضعاف أضعاف سعرها، وبالتالي الأرباح القياسية في زمن قياسي جداً، وأخيراً: (هذا من فضل ربي)، (ما شاء الله)، (الملك لله)..

ومن أسوأ النيران التي نكتوي بجرها، ونقلب فيها على وجوهنا وأظهرنا وجوانبنا، نار السوق والأسعار الملتهبة، ففي حين كنا نتمنى وندعو من الله العلي القدير أن يفرج عنا نار الحصار والجوع وقلة الأرزاق في السنوات العجاف التي مرت علينا، إلا أننا أصبحنا نترحم على تلك الأيام التي أغنت أنفسنا بالنعاعة والرزق القليل المشبع، وكان الناس يعملون ليل نهار - وبكل ما أوتوا من قوة - لإيفاء قوت اليوم الذي يعيشون فيه (وباجر الله كريم)، وكان التاجر والبقال يبيع بضاعته على ربح دراهم معدودة تغنيه جوع يومه وتسد حاجة عياله.. أما اليوم فالكل يتسابق على جمع الدفاتر (من الدولارات) ومواكبة أمثاله الذين سبقوه في بناء القصور وشراء آخر أنواع السيارات، وآخر أنواع الموبايلات.. وأصبح التجار يتنافسون فيما بينهم مسرعين إلى دول العالم لاستيراد أسوأ البضائع في سبيل أكبر المنافع، ولا يهمهم إن كانت تجارتهم هذه ستجلب لاقتصاد البلد الخراب، ولأهله الدمار، ولصناعته التلف والخسارة، ناهيك عن الناحية الشرعية لهذه النوعية من التجارة الفاسدة.. وفعلًا فقد أصيبت أسواقنا بالشلل الصناعي، وتفاقت علينا المشاكل الاقتصادية، وأصبحنا من الدول المستهلكة ١٠٠٪ دون أن ننتج ولو لأنفسنا بعضاً مما يسد حاجتنا، حتى أسهل المواد أصبحنا نستوردها من دول هي أقل منا شأنًا، وأصبح المستقبل لدينا دينارنا، والمرء يقاس بما يمتلك، وما قيمة الرجل إن لم يكن يملك سيارة وموبايل متطور وبيت فخم مبني على أحدث الديكورات وعلى أجمل التصاميم..

على العموم أصبحنا نترحم على حر الصيف ونار جوه الملتهبة، فما جاء من عند الله نسلم له نشكره، وما جاء من عند عباده من حر نسلم له ونصمت ولا جراحة لأحد فينا - عاقلاً كان أو سفيهاً - أن يعترض على حالنا الذي اكتوي بناه حتى العظم، وأصبحنا وكأننا داخل فرن لشوي الدجاج والنار تحيط بنا من كل جانب.. غني يا دجاجة غني .. نار يا حبيبي نار...